Time in the Quranic stories, Surah Taha as an example

الزمن في القصص القرآني سورة طه نموذجا

الباحث: نجاة البابي – طالبة باحثة بسلك الدكتوراه في جامعة الحسن الثاني كلية عين الشق، للآداب و العلوم الإنسانية.

تحت إشراف الأستاذ الدكتور رشيد اركيبي

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٧/١٧ تاريخ القبول: ٢٠٢٤ /٧/٢٣ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٨/١٥

الملخص:

تظهر دراستنا أن ديننا الإسلامي مبني على أسس متينة، وأن القرآن الكريم يحمل في طياته مقاصد سامية تجعله دستورًا للحياة. يحتكم الناس إليه ويسيرون على نهجه لتحقيق مرضاة الله، تتميز كل قصة من قصص القرآن برسالة هداية، تعكس عبرها صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة. فالقصص القرآني ليست مجرد أحداث تاريخية، بل هي مختارات تعكس تجارب الأمم السابقة، حيث يظهر الزمن بوضوح، كما في قصة موسى وآدم في سورة طه، في النهاية، يمكن القول إن الزمن عنصر أساسي في القصص القرآني، الذي يقدم لنا عبرا من تاريخ بعيد لنستفيد منها في حياتنا، وتسهل علينا تحقيق السلام.

الكلمات المفتاحية: الزمن، القصص القرآني، سورة طه، نموذجا.

Abstract

Our study shows that our Islamic religion is built on solid foundations, and that the Holy Quran carries within it lofty goals that make it a constitution for life. People resort to it and follow its approach to achieve the pleasure of Allah. Each story in the Quran is distinguished by a message of guidance, through which it reflects the righteousness of man in this world and the hereafter. The Quranic stories are not just historical events, but rather selections that reflect the experiences of previous nations, where time appears clearly, as in the story of Moses and Adam in Surat Taha. In the end, it can be said that time is an essential element in the Quranic stories, which provide us with lessons from distant history to benefit from in our lives, and facilitate the achievement of peace.

Keywords: Time, Quranic stories, Surat Taha, as a model..

المقدمة:

تُعتبر القصة القرآنية من أبرز وسائل القرآن الكريم لإيصال الدعوة وترسيخها في النفوس، حيث تسهم في نشر الأفكار والقيم الدينية. إن الطابع الديني للقصة القرآنية يميزها عن القصص الفنية الأخرى، إذ تخضع لمقتضيات الأهداف الدينية، مما يجعلها تتجاوز عناصر العمل القصصي التقليدي، مثل المكان والزمان والشخصيات، ولا تلتزم بالتسلسل الزمني للأحداث. هذه الخصائص تمنح القصة القرآنية مكانة سامية مقارنة بالقصص البشرية التي قد تتأثر بمشاعر الناس وتصوراتهم.

المحور الأول: مفهوم الزمن وأقسامه

المبحث الأول: مفهوم الزمن لغة واصطلاحا

١. الزمن لغة:

يُعرَّف الزمن في معظم المعاجم اللغوية بأنه اسم يُشير إلى الوقت بكافة أطواله. جاء في "لسان العرب" أن «الزمن اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع أزمُن وأزمان»، ويُستخدم للإشارة إلى ما يتجاوز فترة معينة. وقد ذُكر أيضًا أن «أزمن الشيء: طال عليه الزمن، ويقال: أبطأ عني عطاؤه»[١]، مما يدل على العلاقة بين الزمن ومظاهر الحياة.

في "المنجد في اللغة والأدب"، تم الإشارة إلى أن «الزمن جمع أزمان وأزمن، والزمان جمع أزمنة»[٢]، وذكرت تعريفات أخرى تشمل المعاني الزمنية المختلفة مثل الفصول وأشكال الوقت.

كما يُشير معجم مقاييس اللغة إلى أن أصل كلمة الزمن يدل على الوقت، ويعرض أمثلة شعرية لتعزيز فهم المفهوم، مثل قول الشاعر: «وكنت امرأً زَمَنًا بالعرات»[٣].

٢ – الزمن في الاصطلاح:

الزمن كان ولا يزال موضوعاً يثير اهتمام العديد من الفلاسفة والمفكرين عبر العصور، سواء القدماء منهم أو المحدثين. فقد ربط هؤلاء المفكرون الزمن بالحركة والتغير، إذ لا يمكن تصور الزمن دون حركة أو

---

[١] لسان العرب، لابن منظور، ج 13، ص 199.

[٢] المنجد في اللغة والأدب، ص: 306

[٣] معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج 3/ 25 – 26.

تغير. وفقًا للألوسي، "الزمن يعتمد على هذه الحركة والتغير، ويقاس بالفواصل القصيرة والطويلة التي تتعاقب فيها الأشياء"[٤]

الزمن هو العنصر غير الملموس فيما هو ملموس؛ إنه تجريد للإدراك والحس. ومن منظور الفيلسوف غاستون باشلار، "الزمان حي والحياة زمانية"[٥]

الزمن، إذاً، يمثل الحركة والتغير المستمر، ولا يمكن فصله عن الحياة التي يتداخل معها بشكل دائم، حتى وإن كان هذا الزمن غير ملموس بالنسبة لنا، فهو موجود دائمًا كخيط وهمي يمتزج بالحياة ولا ينفصل عنها.

٣- الزمن في القرآن الكريم:

لم يتناول القرآن الكريم موضوع الزمن كما فعله الفلاسفة والعلماء، بل يظهر منهجه بشكل عام، داعيًا إلى التأمل والبحث. يقول الله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (العنكبوت: ٢٠). وعلى عكس المفاهيم المسيحية، التي تقسم الزمن إلى ثلاث فترات رئيسية، نجد أن القرآن الكريم يوزع الزمن إلى عالمين: عالم الدنيا الفاني وعالم الآخرة الخالد. كما يميز الزمن إلى نوعين: الأول غيبي، يتجاوز تصورات العقل البشري، والثاني زمن محسوس، يتفاعل معه الناس في حياتهم اليومية ويقيسون به تغيراتهم وتجاربهم[٦].

المبحث الثاني: أقسام الزمن السردي وتقنياته.

١) أقسام الزمن السردي

١ - ١ - زمن السرد (الحكاية):

السرد هو عملية الوصف أو التصوير، ويعتبر جزءًا أساسيًا من الحدث والشخصيات وجميع عناصر القصة. فلا يمكن اعتبار أي سرد بدون وصف أو تصوير كقصة حقيقية. يجب أن يكون السرد نابعًا من جوهر العمل الأدبي، بحيث يكون متسقًا معه، لا مجرد إضافة زائدة، بل عنصرًا فاعلًا يدعم البناء الروائي.

---

[٤] الزمان في الفكر الديني وفلسفة العلم، الألوسي حسام، ص:169

[٥] جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، غاستون باشلار، ص:15.

[٦] الزمان في الفلسفة والعلم، الخولي يمنى طريف، ص:28.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

يمكننا تحديد الحاضر الزمني للقصة على مستويين: داخلي وخارجي. على المستوى الداخلي، يتحدد الحاضر من خلال اللحظة التي يتم فيها إنجاز الحدث الأول في القصة، أو ما يسميه جنيت بالحكي الأول. هذا التحديد يساعد في فهم الترتيب الزمني للأحداث والتغيرات بين ما هو قبل وما هو بعد. ومن خلال هذا الإطار، يمكن دراسة الترتيبات الزمنية، مثل المفارقات الاسترجاعية أو الاستباقية. أما على المستوى الخارجي، فيمكن تحديد الحاضر من خلال نقطة النهاية، حيث يكون كل السرد في الماضي، لكن يتم تقديمه في الوقت الحالي للاستجابة لما يستدعيه السرد، وغالبًا ما يحدث ذلك في الخطابات الشفوية، حيث يستدعي السرد الذي يتركز حول نهايته ما يحدث في سياق الكلام[٧]

إن تحديد الحاضر بمستوييه الداخلي والخارجي يعكس التفصيلات الزمنية الكبرى للحكي، مما يعزز فهم العلاقة بين القصة والخطاب بشكل عام. لكن هذا الفهم العام يتطلب تحليلًا دقيقًا لكل مقطع سردي على حدة، مما يسهل استنتاج بنية الزمن في الخطاب الروائي. وعندما نحدد الحاضر من منظور داخلي، نتمكن من تحليل زمن الخطاب بشكل أعمق، بينما سيساعدنا تحديده على المستوى الخارجي في فهم النص[٨]

في الإطار العام للحكي، قام الشكلانيون الروس أولًا بتمييز بين القصة والخطاب. حيث تشير القصة إلى الأحداث والشخصيات وتفاعلهم، بينما يرتبط الخطاب بالطريقة التي يتم بها نقل هذه القصة أو التعبير عنها[٩]

يمكن أن يقدم الحكي للقارئ مستويات مختلفة من التفاصيل، ويكون ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر. لذا، يمكن للحكي أن يختار الطريقة التي تعبر بها عن المعلومات، استنادًا إلى معرفة الشخصيات أو الأحداث، مما يعرف عادة بالرؤية أو وجهة النظر التي تحدد كيف يتم تقديم القصة (تحليل الخطاب الروائي)[١٠].

١ – ٢ – زمن القص (الحدث):

تُعرف القصة في اللغة بأنها تتبع الأثر ورصد حركة الأشخاص والتقاط بعض أخبارهم. أما في المصطلح النقدي، فهي نص أدبي نثري يعبّر عن موقف أو شعور إنساني بتصوير مكثف يحمل مغزىً معينًا. يتجسد موضوع القصة في الحدث، الذي يتم في زمان ومكان معينين، ويهدف إلى تحقيق هدف ما،

---

[٧] تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، ص:90 – 91

[٨] المرجع نفسه، ص:91

[٩] المرجع نفسه، ص:169.

[١٠] المرجع نفسه ، ص:177.

معبرًا عن آمال الشخصيات من خلال أنماط سلوكية ومشاعر إنسانية. لا شك أن تطور الأحداث يلعب دورًا حيويًا في منح القصة القوة والحيوية، فهو العنصر الأساسي الذي يحرك الشخصيات ويعكس تقدم الأحداث بطريقة تؤدي إلى نتيجة مُرضية للقارئ، تتوافق مع رؤية الكاتب الخاصة للحياة.

من المهم للقارئ الذي يسعى لفهم تطور القصة أن يكتشف الخطة الأساسية التي وضعها الكاتب. من خلال ذلك، يستطيع القارئ أن يتبين النسيج المعقد الذي يربط بين الشخصيات والأحداث في البيئة التي اختارها الكاتب، ويتصور الحدود التي تتحرك فيها القصة. يجب أن تبدأ القصة في مكان معين وتنتهي عند نقطة محددة، حيث يختار الكاتب مظاهر الحياة ليقدمها للقارئ بشكل واضح. يتعين على الكاتب تجميع مادته في وحدة متماسكة، مما يتيح للقارئ متابعة الأحداث بشغف، دون صعوبة في فهمها. غالبًا ما تكون هذه الوحدة واحدة من ثلاث: وحدة الحادثة، وحدة الحياة، ووحدة العمل القصصي[١١]

١. وحدة الحادثة: تُعتبر الحادثة المركزية التي تجمع حولها أجزاء القصة. وهي الحوادث التي تُنسق ضمن السرد القصصي، وقد تحدث لشخص واحد، ولكنها قد تتوالى دون رابط سببي، حيث لا تكون الحادثة الثانية نتيجة للأولى أو سببًا في الثالثة[١٢]

٢. وحدة الحياة: تتجلى هذه الوحدة في قصص مثل "سوق الغرور" للكاتب ثكري، حيث يظهر بناء القصة اختلافًا جوهريًا عن النوع الأول، إذ تدور حول مهنة معينة وتتشابك خيوطها في نسيج متكامل، حيث يؤثر كل حدث أو موقف في سابقيه ولاحقيه

٣. وحدة العمل القصصي: يعتمد هذا النوع على وحدة التأثير، حيث يشدد أرسطو في كتابه "الشعر" على ضرورة الوحدة العضوية. ولتطبيق ذلك في القصة، يجب على الكاتب وضع خطة موحدة، مع توفير ترابط منطقي بين أجزاء القصة[١٣]

١ – ٣ – الزمن النفسي:

عرف بعض العلماء الزمن النفسي بأنه: «إحساس الكائن المتغير تجاه الأشياء، وعلاقة هذا الكائن مع الكائنات الأخرى تبعًا للحالات التي يمر بها. وبالتالي، فإن لكل إنسان زمنه السيكولوجي الخاص، والذي

---

[١١] فن القصة، محمد يوسف نجم، ص:29.

[١٢] المرجع نفسه، ص:30

[١٣] المرجع نفسه، ص:31.

نسميه الزمن الداخلي. فالإنسان يدور حول نفسه في الزمن الداخلي، بينما يتفاعل مع الزمن الخارجي من خلال سلسلة من الدورات العمرية»[١٤].

وأثبتت الدراسات الزمنية الحديثة أن «الوقت لا يمر حين نكون في حالة قلق، بينما يبدو أنه يمر بسرعة هائلة في ساعات الفرح والسرور. وهذا المعنى تم التعرف عليه بالملاحظة والإحساس»[١٥] . وقد عبر الشاعر العربي عن هذه الحقيقة بقوله:

"إن اللّياليَ للأنامِ مناهلٌ ... تُطوَى وتُنْشَرُ دونَها الأعمارُ

فقِصارُهن مع الهُموم طويلةٌ ... وطِوالهنَ مع السُّرورِ قصارُ"[١٦]

تعكس قصص القرآن الكريم زمنًا نفسيًا تشعر به النفس البشرية لشخصيات القصة، حيث يتجاوز الخيال إلى مشاهد تعاقب الإحساسات والأحلام. كما أشار "باديس فوغالي" إلى ذلك بقوله: «إنه تصوير للأجواء الداخلية للشخصية، يربطها بماضيها أو يقفز بها إلى آفاق المستقبل والحلم»[١٧]

فالزمن ليس كما يراه فلاسفة العقل، بل إنه حقيقة موضوعية خارجية وديمومة داخلية ذاتية. والديمومة ليست لحظة تأخذ مكان أخرى، بل تتسم بالسيلان وعدم التجزئة؛ إذ لولا ذلك، لما كان هناك سوى الحاضر، ولما كان هناك امتداد للماضي. وقد اعتمد برغسون على هذا في تحليله لفكرة الزمن بين الماضي والحاضر، حيث يقول: «لا ريب أن برغسون يمنع نفسه من وصف الماضي في مادة، لكنه مع ذلك يصور الحاضر إلى الماضي»[١٨]

وقد اعتبر برغسون أن الذاكرة هي السلاح الوحيد الذي يتيح للماضي امتدادًا في الحاضر، حيث تعتمد الذاكرة على العقل، وهو ما ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان بشعوره النفسي، مما يضمن وجود امتداد بين الماضي والحاضر.

---

[١٤] الزمن رسالة الكائن إلى ذاته، إدلي بهيجة، ص:6.

[١٥] مفهوم الزمن في القرآن الكريم، باباعمي محمد بن موسى، ص:281

[١٦] مكاشفة القلوب، الغزالي أبو حامد، ص:221.

[١٧] الزمن ودلالته في قصة من البطل؟ للأديبة زوليخا السعودي، باديس فوغالي، ص:53.

[١٨] جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، غاستون باشلار، ص:14.

فالزمن النفسي لا يرتبط بالإنسان على مستوى الذهن والإدراكات العقلية فقط، بل يمتد أيضًا إلى مستوى الشعور والإحساس. حيث يُعرف «الزمن النفسي بأنه الزمن الذي يشعر به كل إنسان، ويختلف تقديره من شخص لآخر بناءً على حالته النفسية، وليس هذا الزمن بمعزل عن العلاقات الخارجية، بل هو تعبير عن مدى استجابة الفرد لها وتأثره بها»[١٩]

المحور الثاني: الزمن في سورة طه

المبحث الأول: توثيق سورة طه

تُعتبر سورة طه من السور المكية، وهي تتناول الأهداف ذاتها التي تركز عليها السور المكية الأخرى، مثل تعزيز أصول الدين من توحيد ونبوة وبعث. وقد أُطلق عليها اسم "طه" تيمناً باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لتخفيف معاناته مما كان يلقاه من معارضة. وتبدأ السورة بعبارة تُظهر العناية به: {طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِتَشْقَى}. تتألف السورة من ١٣٥ آية، وترتيبها في المصحف هو العشرون، وقد نزلت بعد سورة مريم، وتوجد في الجزء ١٦، الحزب ٣٢، والأرباع ٥، ٦، ٧، ٨.

١ – سبب النزول:

تتعلق الآية {طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} بما أوردته بعض الروايات، حيث قال أبو جهل والنضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم إن القرآن أنزل ليُشقيه بسبب اجتهاده في العبادة. وجاءت الآية للتأكيد على أن القرآن ليس سبباً في شقائه. فقد رُوي أن كفار قريش كانوا يرون أن نزول القرآن هو مصدر لشقاء النبي، فأتى الوحي بهذه الآية ليؤكد له أنه ليس هكذا. وكذلك الآية {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ} تُشير إلى موقف من حدث مع النبي عندما أراد شراء الطعام، حيث طلب منه اليهودي الرهن مقابل الطعام، فنزلت الآية لتوجيهه بعدم التطلع إلى ما يتمتع به الآخرون من نعيم، مُؤكدة على صدقه وأمانته[٢٠]

٢ – أغراض السورة:

تتضمن سورة طه عدة أغراض منها:

–التحدي بالقرآن حيث تبدأ السورة بالحروف المقطعة.

– التأكيد على نزول القرآن الذي يُعتبر هداية للناس.

---

[١٩] إعجاز القرآن الكريم في آفاق الزمان والمكان، منصور حسب النبي، ص:227.

[٢٠] أسباب النزول، لأبي الحسن علي ابن أحمد ابن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، ص:199 – 200.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

– تمجيد الله وتأكيد رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال ربطها برسالة موسى عليه السلام.

– عرض قصة موسى ودعمه من قبل الله لمواجهة فرعون بالآيات والمعجزات، وما صاحب ذلك من أحداث إنقاذ بني إسرائيل.

– قصة السامري وعبادة العجل خلال غياب موسى، مما يعكس خيانة القوم.

– توجيه إنذار لمن يعرضون عن القرآن كتحذير من مآلهم الذي قد يكون مشابهًا لمآل أعداء موسى.

– ذكر عداوة الشيطان للإنسان كما في قصة آدم.

– تأكيد الجزاء في الآخرة لمن يتبعون خطوات الشيطان.

– تسلي النبي عليه الصلاة والسلام وتثبيته أمام ما يواجهه من تحديات.

– الإشارة إلى البعث وهول يوم القيامة وما يسبقه من أحداث مؤلمة[٢١].

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية:

١) تقنيات المفارقة السردية

١ – ١ – الاستذكار:

الاسترجاع في السرد:

الاسترجاع هو تقنية سردية تُعرف بأنها "إيقاف السارد لسير الأحداث للعودة إلى أحداث سابقة"[٢٢] وفي هذه الحالة، يكون زمن السرد متأخراً عن زمن القصة، حيث يكون زمن السرد أقل من زمن الأحداث.

يتجلى الاستذكار في قصص القرآن الكريم بشكل واضح، حيث يُعرض الأحداث بصورة أدبية تهدف إلى إلهام النفوس وتحريك العزائم. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما جاء في سورة طه، حيث قال الله تعالى: {إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} (طه: الآية ٤٠). هنا، تشير الآية إلى المدة التي قضاها موسى عليه السلام في مدين تحت رعاية صهره شعيب، وهو ما أكده العديد من المفسرين. كما أشار أبو مسلم إلى أنه "مُشرح في قوله تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ}، والتي تتحدث عن المدة التي قضاها موسى في مدين، إما عشرة أو ثمانٍ"[٢٣]

---

[٢١] تفسير التحرير والتنوير، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، ج 16/ 181 – 182.

[٢٢] مستويات دراسة النص الروائي، عبد العالي بوطيب، ص: 135).

[٢٣] التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج 11/ 56

أما وهب، فقد ذكر أن "موسى لبث عند شعيب ثمانياً وعشرين سنة، منها عشر سنوات مهراً لامرأته"[٢٤].

وقد جاء تأكيد آخر من القرطبي، الذي أوضح أن "موسى لبث عشر سنوات ثم ثماني عشرة سنة"[٢٥]

كما أكد المفسر عبد الرحمن السعدي أن موسى "فر هارباً من فرعون إلى مدين، وتزوج هناك، ومكث عشر سنين أو ثمانٍ"[٢٦]

وفي تفسير ابن كثير، نجد أن "موسى أقام في مدين هارباً من فرعون، حتى انتهت المدة التي أُعطيت له، ثم جاء موافقًا لمقدار الله وإرادته"[٢٧]

يظهر أن المدة الزمنية التي عاشها موسى في مدين كانت عشر سنين، وهو ما يُعَدُّ كمهر لزوجته، مع ثماني سنوات إضافية قضاهما عند صهره.

من خلال هذا نرى أن الاستذكار يُعد تقنية فعّالة تعيدنا إلى الماضي، كما يظهر في كلمة "سنين"، مما يدل على الأحداث التي جرت في فترة بعيدة، وتُعتبر هذه العودة الزمنية وسيلة لتقديم الأحداث بشكل أعمق.

يمكننا أن نرى نماذج أخرى للاستذكار في الآيات القرآنية، مثل قول الله: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى}، حيث يُشير هذا إلى أحوال الأمم السابقة وكيف واجهوا الله بعد حياتهم في الكفر والإنكار. وقد فسر أحد المفسرين هذه الآية بالقول: "ما شأنهم وكيف كانت حالهم؟"[٢٨]

كما ذكر ابن كثير أن هذه الآية تُشير إلى "الأمم السابقة التي لم تعبد الله"[٢٩]

وفي نفس السياق يوضح الطاهر بن عاشور أنه كان لفرعون هدف من سؤاله عن القرون الماضية، إذ أراد أن يحاجج موسى حول مصير الأمم التي سبقته[٣٠]

---

[٢٤] التفسير الكبير، الرازي، ج 11/ 56-57).

[٢٥] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 11/ 183.

[٢٦] تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ص: 503.

[٢٧] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 5/ 232.

[٢٨] تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ص: 506.

[٢٩] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 5/ 249.

[٣٠] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 16/ 34.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

وفي النهاية، يمكننا أن نرى أن جميع المفسرين يُؤكدون أن هذه الآية تتحدث عن أحوال الأمم السابقة، مما يظهر لنا الاستذكار كوسيلة سردية تُبرز لنا ما جرى في الماضي من خلال ما يرويه الله عن أحوال هؤلاء الأقوام.

١ – ٢ – الاستشراف:

أو ما يسمى الاستيباق هو تقنية سردية تعني "إيراد حدث قادم أو الإشارة إليه مسبقًا"[٣١] يكون زمن السرد سابقًا لزمن القص، مما يعني أن زمن السرد أكبر من زمن القص. وهذا المفهوم يتجلى في القصص القرآني، حيث يُخبرنا الله سبحانه وتعالى بأخبار الأنبياء والأمم السابقة قبل وقوع الأحداث، كما يتضح من سورة طه، ومن أمثلة الاستشراف ما ورد في قوله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} (طه: ١٥).

تتعلق هذه الآية بمجيء الساعة، ويقصد بها يوم القيامة الذي لا يعلم به إلا الله، وفيه يأخذ كل إنسان جزاءه. ولذا أخفاها الله عن عباده، مما أدى لاختلاف تفسيرها بين المفسرين. فالكثير منهم يفسرون قوله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ} بمعنى أنها حتمية الوقوع، و"أَكَادُ أُخْفِيهَا" تعني إخفاء هذا العلم عن نفسي كما هو مذكور في بعض القراءات، حيث ورد في قوله: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ عِلْمُهَا عِندَ الله}. وتدل الحكمة في إتيان الساعة على أن كل نفس ستجزى بما عملت، إذ أنها دار جزاء كما يذكر: {لِيُجْزَى الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيُجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}[٣٢]

يقول الطبري في تفسيره، حول قوله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ} "إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية". ويؤكد أن "أَكَادُ أُخْفِيهَا" تعني أنه يكاد يخفيها من نفسه، حتى لا يطلع على ذلك أحد[٣٣]

ويضيف القرطبي: "إن الساعة آتية أكاد آتي بها"، مؤكدًا أن الله قد أخفى الساعة عن الإنسان حتى يعمل، فالأمر مبهم حتى لا يتساهل في التوبة[٣٤]

---

[٣١] مدخل إلى نظرية القصة، جميل شاكر، سمير المرزوقي، ص: 76.

[٣٢] تفسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، عبد الرحمان بن الناصر السعدي، ص: 503.

[٣٣] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج 18/ 285.

[٣٤] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 11/ 183.

أما الطاهر بن عاشور، فيتوسع في تفسير الآية ويذكر أن "أكاد" قد تفسر بأكثر من وجه. فبعضهم يرى أن المعنى يتجه إلى إخفاء الحديث عن الساعة، في حين يراه آخرون زائدة لتأكيد الإخفاء[٣٥]

يتساءل الرازي عن الحكمة في إخفاء الساعة ووقت الموت، فيجيب بأن ذلك يمنع الإنسان من الانغماس في المعاصي، حيث يعرف أنه قد يلقى الله في أي لحظة. ويرتبط ذلك بفكرة الجزاء يوم القيامة، حيث لا يمكن التمييز بين الطائع والعاصي من دون وجود يوم للجزاء[٣٦]

إن التفاسير تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد اختص نفسه بمعرفة موعد الساعة، مما يعني أنه لا يمكن لأحد أن يعرف وقت قيامتها. وبهذا يُحث الإنسان على عدم التغافل عنها بسبب مشاغل الدنيا، فآية {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ} تعبر عن استشراف لما سيحدث في المستقبل. وبالتالي، يُمكن القول بأن الاستذكار والاستشراف هما عنصران أساسيان في السرد القرآني، حيث يسهمان في إيصال العبر والمواعظ، مما يدعو إلى التأمل والتحفيز نحو العمل الصالح.

٢) تقنيات الحركة السردية

٢ – ١ – تسريع السرد:

إن السرد القصصي في القرآن الكريم يعدّ نوعًا من الخطاب الأدبي الجمالي، يهدف إلى ضبط الحقائق وتوليد العبرة منها. فالغرض من هذا السرد لا يقتصر على تسجيل الأحداث أو تأريخها، بل يتجاوز ذلك ليكون في الأساس العظة والهداية. ولذا، يركز السرد القصصي في القرآن على الأحداث التي تسهم في بناء الفكرة المركزية، بينما يمر سريعًا على التفاصيل الثانوية. من أهم تقنيات تسريع السرد هنا، نجد الخلاصة والحذف.

[٣٥] تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 16/ 202.

[٣٦] تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، ج 11/ 23.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

١. الخلاصة:

تعتبر الخلاصة شكلًا من أشكال السرد، حيث يتم تلخيص أحداث تمتد على فترات زمنية متعددة في مقاطع قليلة دون الإغراق في التفاصيل[٣٧]

يشير التلخيص في هذا السياق إلى اختزال فترات زمنية من الأحداث والنص، وهو أسلوب متكرر في القصة القرآنية.

لنأخذ مثالًا من قصة النبيين موسى وآدم عليهما السلام في سورة طه. في الآية {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} (طه: ١٢٨)، يبين الله سبحانه وتعالى عقاب الأمم السابقة كتحذير للأمم اللاحقة. ويشير السعدي في تفسيره إلى أن هذه الآية تذكر المكذبين بضرورة الاعتبار بما حدث للأمم الخالية من عقوبات بسبب كفرهم[٣٨]

٢. الحذف:

تتطلب السردية القرآنية اختيارا انتقائيا للمواد المسرودة، بحيث تركز على الأحداث الأساسية وتبتعد عن الجزئيات التي قد تشغل القارئ عن الغرض الأساسي للقصة. وتقنية الحذف تلعب دورًا حاسمًا في تسريع السرد عبر إلغاء الزمن الميت في القصة[٣٩].

تظهر تقنية الحذف في قصة آدم عليه السلام، حيث يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} (البقرة: ١١٥). فإن التفاسير المختلفة تعكس عدم ذكر التفاصيل عن العهد الذي أُعطي لآدم، مما يترك للقارئ استنتاج المعاني. كما يشير ابن كثير إلى أن هذا العهد يتعلق بعدم الاقتراب من الشجرة[٤٠] يمكن القول إن السرد القصصي في القرآن الكريم يعتمد بشكل كبير على تقنيتي التلخيص والحذف، مما يجعله أسلوبًا فريدًا في إيصال المعاني والدروس. ورغم اختلاف التفاسير، تبقى الرسالة الأساسية واحدة، وهي دعوة الإنسان للتفكر والاعتبار.

---

[٣٧] مستويات دراسة النص الروائي، عبد العالي بو طيب، ص:166.

[٣٨] تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص:516.

[٣٩] بنية الشكل الروائي، لحسن بحراوي، ص:156

[٤٠] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 5/ 267 – 268).

٢ – ٢ – تعطيل السرد:

يتميز السرد القرآني بنهج خاص في التعامل مع الزمن، حيث يركز على اللحظات المهمة التي تساهم في تقدم القصة وتشكيل أحداثها. بينما يتم استبعاد العناصر الزمنية الأخرى التي لا تتماشى مع هذا الهدف.

١. المشهد الحواري

يسهم المشهد الحواري في الكشف عن الأحداث وأبعاد الشخصيات، مما يعكس تفاعلات الشخصيات في سياق القصة. يتسم هذا النوع من المشهد بقدرته على بعث الحياة في السرد وإضفاء الحيوية عليه. كما يُظهر الحوار بأشكاله المختلفة، سواء بين البشر أو بين الملائكة والبشر، أو حتى بين الله والبشر، دوره كوسيلة زمنية تعزز من وضوح الأحداث أمام القارئ، وتخفف من رتابة السرد[٤١]

وفي قصة آدم عليه السلام كما ورد في سورة طه، نجد حوارًا مثيرًا بين الله والبشر يوم القيامة، حيث يقول: "قَالَ رَبِّ لِمَا حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى" (طه: ١٢٥-١٢٦). يوضح ابن كثير أن هذا الحوار يعبر عن حالة من الإعراض عن آيات الله، مما يؤدي إلى النسيان والمعاملة بالمثل في الآخرة[٤٢]

وفي هذا السياق، يفسر الرازي الأمر على أنه نتيجة طبيعية للإعراض عن الحق، ويضيف أن هذه الحالة تستمر حتى بعد مفارقة الروح للجسد[٤٣]

يتوافق هذا التفسير مع ما يراه الطاهر بن عاشور، حيث يؤكد على أهمية التحذير من الضلال[٤٤]

هذا الحوار يكشف عن الطبيعة البشرية وعواطفها، والتي تظل موجودة حتى يوم القيامة، مما يبرز غريزة العمل والإنتاج[٤٥].

---

[٤١] دراسات فنية في القصص القرآني، محمد البستاني، ص:12.

[٤٢] تفسير القرآن العظيم، الإمام ابن ج 5/271.

[٤٣] تفسير الفخر الرازي، الإمام الرازي، ج 11 /132.

[٤٤] تفسير التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور، ج 16، 334.

[٤٥] خصائص القصة الإسلامية، مأمون فريز جرار، ص 119.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

٢. الوقفة الوصفية

تعمل الوقفة الوصفية في السرد القرآني على إبطاء الزمن السردي، حيث تبقى الأحداث متوقفة بانتظار إكمال الوصف[٤٦] تتجلى الوظائف الجمالية للوصف في إضافة عناصر تزيينية، بالإضافة إلى الكشف عن الجوانب النفسية والاجتماعية للشخصيات[٤٧]

يتضح الوصف في العديد من القصص القرآنية، مثل قصة آدم في سورة طه، حيث يقول الله: "فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى" (طه: ١٢٤). يفسر ابن كثير هذا الوصف بأنه يعكس حياة الكفار التي تفتقر إلى الطمأنينة، وهو تعبير عن حالهم في الآخرة[٤٨] . كما يدعم الرازي هذا التفسير ويشير إلى أن الضيق المشار إليه قد يكون في الدنيا أو الآخرة[٤٩]

يشير الطاهر بن عاشور إلى المعاني العميقة التي تحملها الكلمات، حيث تصف المعيشة الضنك بأنها تمثل حالة العذاب والابتعاد عن رحمة الله[٥٠].

تظهر الوقفة الوصفية في النصوص القرآنية أنها تُقدم سمات معينة للأشخاص وتعرض مواقفهم من الابتلاءات، مما يبرز الفروق بين الشاكر والكافر. إن الوصف يسهم في بناء السرد، حيث يعطل حركة الزمن ليجعل الحقائق واضحة أمام القارئ، ويعزز من أهمية العناصر الدلالية في القصة.

خلاصة:

القصة بشكل عام، وخاصة القصة القرآنية، تعتمد على تقنيات المفارقة والحركة السردية. وتشمل المفارقة السردية تقنيتين أساسيتين:

– الاسترجاع: حيث يكون السرد متأخرًا عن زمن الأحداث، ويُستخدم لسرد قصص الرسل السابقين وأحداث ماضية.

– الاستشراف: وهو حين يتقدم السرد على زمن الأحداث، ويتناول وقائع تتعلق بالمستقبل مثل حوادث الآخرة، مصير الظالمين، وأحوال المؤمنين والكافرين في الجنة والنار.

---

[٤٦] بنية الشكل الروائي، لحسن بحراوي، ص:119.

[٤٧] نفسه، ص:165.

[٤٨] تفسير القرآن العظيم، الإمام ابن كثير، 5/269–271).

[٤٩] الإمام الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، ج 11 /131–132.

[٥٠] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 11، ص 332–333.

أما تقنيات الحركة السردية، فتشمل:

– تسريع السرد: والذي يتضمن طريقتين؛

– الخلاصة: حيث يتم اختزال الأحداث، مثل تلخيص أيام أو سنوات في مقاطع محدودة دون الدخول في تفاصيل دقيقة.

– الحذف: وهو تجاوز الأحداث غير المهمة والتركيز على اللحظات الأكثر إثارة وتوترًا في القصة، مع استبعاد التفاصيل التي لا تخدم الهدف السردي.

– تعطيل السرد: ويشمل المشهد الحواري والوقفة،

– المشهد الحواري: حيث يتضمن الحوار بين الشخصيات، ويكشف عن أبعادهم النفسية، مما يجعل الخطاب متساويًا مع القصة.

– الوقفة: حيث يتوقف الزمن السردي لتقديم وصف تفصيلي لوضعية معينة، مع تشخيص للأشياء والأشخاص بدلاً من الأحداث فقط.

الفرق بين السرد والوصف هو أن السرد يروي الأفعال والأحداث، بينما يركز الوصف على تجسيد الأشياء والشخصيات.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

لائحة المصادر والمراجع:

١. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣، ج ١٣، ص ١٩٩.

٢. المنجد في اللغة والأدب، دار المشرق، بيروت، الطبعة ٣١، ١٩٩١.

٣. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢، ج ٣.

٤. الزمان في الفكر الديني وفلسفة العلم، حسام الألوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٥. جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.

٦. الزمان في الفلسفة والعلم، يمنى طريف الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩

٧. تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧.

٨. فن القصة، محمد يوسف نجم، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٩. الزمن رسالة الكائن إلى ذاته، بهيجة إدلبي، دار عبد المنعم ناشرون، حلب، ٢٠٠٥.

١٠. مفهوم الزمن في القرآن الكريم، باباعمي محمد بن موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

١١. مكاشفة القلوب، أبو حامد الغزالي، تحقيق صلاح عويضة، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

١٢. الزمن ودلالته في قصة "من البطل؟"، زوليخا السعودي، باديس فوغالي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد حيضر، العدد ٠٢، جوان ٢٠٠٢.

١٣. إعجاز القرآن الكريم في آفاق الزمان والمكان، منصور حسب النبي، دار النشر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤

١٤.أسباب النزول، لأبي الحسن علي ابن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠.

١٥. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، الطبعة ١٩٨٤، ج ١٦

١٦. التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ج ١١

١٧. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج ١١
١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، عبد الرحمن السعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
١٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ج ٥.
٢٠. مدخل إلى نظرية القصة، جميل شاكر وسمير المرزوقي، دار التونسية للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.
٢١. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤
٢٢. دراسات فنية في القصص القرآني، محمود البستاني، دار البلاغة للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033